

الأستاذ: عون طلال جامعة عنابة

Talal.aoun@univ-annaba.dz

0699809378

الأستاذ: بلخيري رضوان جامعة تبسة

Belkhiri.radouane@univ-tebessa.dz

الثقافة الصحية للمرأة الجزائرية عبر الشاشات الرقمية: الواقع والمأمول

العالم الرقمي...

يشهد العالم المعاصر تحوُّلاً جذرياً بفعل التطورات المتسارعة في المجال الرقمي، الأمر الذي دفع العديد من المفكرين والعلماء إلى إعادة النظر في طبيعة المجتمع، والعلاقات الإنسانية، وحتى مفهوم الإنسان ذاته في ظل الثورة الرقمية. لم تعد التكنولوجيا مجرد أدوات محايدة، بل أصبحت فاعلاً رئيساً يعيد تشكيل البنية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية للإنسانية. وفي هذا السياق، أطلق عدد من المفكرين البارزين رؤى نقدية وتوقعات مستقبلية حول هذا الواقع الرقمي الجديد.

يرى مانويل كاستلز، عالم الاجتماع الإسباني، أن "المجتمع المعاصر هو مجتمع شبكي، حيث تتدفق السلطة والمعرفة والمعلومات عبر شبكات رقمية أكثر من المؤسسات التقليدية"، مشيراً إلى أن الشبكات الرقمية قد أصبحت البنية التحتية الأساسية للمجتمعات الحديثة، وأنها تعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بطرق غير مسبوقة.

أما شوشانا زوبوف، صاحبة كتاب *The Age of Surveillance Capitalism*، فتعتبر أن "العصر الرقمي ليس مجرد تطور تكنولوجي، بل هو تغيير جذري في منطق الرأسمالية"، حيث ترى أن البيانات الشخصية التي

تُجمع من المستخدمين قد أصبحت مواد خام لعصر جديد من السيطرة تُمارس عبر ما تصفه بـ"رأسمالية المراقبة".

وفي منحى أكثر فلسفيًا، يؤكد ميشيل سير أن "جيل اليوم يولد بأدمغة رقمية جديدة. الذاكرة لم تعد في الرأس، بل في الأجهزة"، ما يدل على أن التحول الرقمي لا يقتصر على البنية التحتية للمجتمع، بل يمس جوهر الإنسان وتكوينه المعرفي.

من جهته، يحذر نيكولاس كار من التأثيرات المعرفية للرقمنة، بقوله: "الإنترنت لا يغير فقط ماذا نعرف، بل كيف نفكر"، مشيرًا إلى أن الاعتماد المتزايد على التكنولوجيا قد يؤدي إلى تراجع القدرات التحليلية والذهنية لدى الأفراد، ويستدعي بذلك الحاجة إلى توازن بين الرقمنة والتفكير النقدي.

ويشارك كيفين كيلي، أحد مؤسسي مجلة *Wired*، رؤية مستقبلية متفائلة نوعًا ما، إذ يقول: "ما زلنا في اليوم الأول من الإنترنت. كل شيء قادم سيكون أكبر وأغرب"، متنبئًا بأن الذكاء الاصطناعي والميتافيرس والواقع المعزز سيغيرون طبيعة الحياة البشرية خلال العقود القادمة.

أخيرًا، يُجسد إيلون ماسك هذا التوجه المستقبلي في مقولته: "نحن نندمج مع الذكاء الاصطناعي تدريجيًا. الهواتف الذكية اليوم هي امتداد لعقولنا"، ما يشير إلى أن العلاقة بين الإنسان والآلة تتجاوز الاستخدام إلى الاندماج، في أفقٍ تسوده مفاهيم ما بعد الإنسانية والذكاء الهجين.

من خلال هذه المقولات، يتضح أن العالم الرقمي لم يعد مجرد فضاء تكنولوجي، بل هو واقع شامل يعيد تشكيل الإنسان والمجتمع في العمق. هذه التحولات تطرح إشكاليات معقدة تتطلب قراءة متعددة التخصصات تجمع بين الفلسفة، والتكنولوجيا، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، لفهم رهاناتها ومآلاتها المستقبلية.

الثقافة وهيمنة الشاشة الرقمية عليها

في ظل التحول الرقمي المتسارع، لم تعد الثقافة بمعناها التقليدي محصورة في الكتب المطبوعة، أو اللقاءات الفكرية، أو الفنون الكلاسيكية، بل أصبحت الشاشة الرقمية بمختلف

تجلياتها من هواتف ذكية، وحواسيب، وتلفزيونات ذكية، ومنصات بث ومواقع تواصل اجتماعي تمثل الفضاء المركزي لإنتاج وتلقي وتداول المحتوى الثقافي. لقد أصبح ما يُعرض على الشاشة، سواء في شكل صور، فيديوهات، منشورات أو مقاطع صوتية، هو المصدر الأساسي للمعرفة والتمثيلات الرمزية عند فئات واسعة من المجتمعات، لا سيما لدى الأجيال الناشئة.

هذه الهيمنة الرقمية على الثقافة تُعيد تعريف علاقة الإنسان بالزمن والمعنى والذاكرة. فالمحتوى الثقافي الذي كان يُستهلك سابقًا عبر طقوس معينة (مثل قراءة كتاب أو حضور مسرحية) بات اليوم يُستهلك بشكل متسارع، فوري، ومتعدد المهام، مما يطرح تساؤلات حول عمق التجربة الثقافية واستمراريتها. ويشير العديد من الباحثين، ومنهم نيكولاس كار، إلى أن هذا النمط من الاستهلاك يؤدي إلى "تفتيت الانتباه"، وهو ما قد يُضعف من قدرات التركيز والتأمل لدى الفرد، ويحوّل الثقافة من تجربة تأملية إلى مجرد تفاعل سريع ومؤقت.

إضافة إلى ذلك، فإن الشاشة الرقمية لا تكفي بنقل الثقافة، بل تُعيد تشكيلها وفق منطق الخوارزميات والاقتصاد الرقمي. إذ تقوم المنصات الكبرى مثل YouTube ، TikTok ، Netflix بترشيح المحتوى وفقًا لاهتمامات المستخدمين ومتابعاتهم السابقة، مما يُكرّس فقاعات معرفية وثقافية مغلقة، ويُضعف من التنوع والانفتاح الفكري. وهو ما تُحدّر منه شوشانا زوبوف التي ترى أن السيطرة على البيانات تُفضي إلى "برمجة السلوك البشري"، بما يتجاوز مجرد الترفيه نحو إعادة توجيه الذوق والثقافة والقرارات اليومية.

وعليه، فإن الحديث عن "هيمنة الشاشة" لا يتعلق فقط بوسيط تقني، بل بمشروع حضاري شامل يُعيد هندسة الثقافة من الداخل، وي طرح على الفاعلين الثقافيين والتربويين تحديات كبرى تتطلب استراتيجيات جديدة للموازنة بين الاستفادة من الإمكانيات الرقمية والحفاظ على جوهر التجربة الثقافية الإنسانية.

لقد شهدت العقود الأخيرة تحوّلًا عميقًا في تمثيلات الثقافة داخل المجتمعات العربية، ومنها الجزائر، بفعل تطور التكنولوجيا وهيمنة الوسائط الرقمية. فالثقافة، التي كانت تنتقل سابقًا عبر التلقين الشفهي أو المؤسسات التربوية أو الأسرية، أصبحت اليوم مرتبطة بشكل وثيق بنسبصري سريع، يستند على المحتوى المصور والمقاطع القصيرة، ويعتمد على التفاعل اللحظي بدلًا من التأمل والتفكير العميق.

هذه الهيمنة الرقمية جعلت الثقافة أقرب إلى التسلية منها إلى التكوين، لكنها في الوقت ذاته فتحت مجالًا واسعًا أمام خطاب التثقيف الصحي، خصوصًا لدى فئات كانت تفتقر سابقًا إلى

مصادر المعرفة الصحية، مثل النساء في المناطق الريفية أو ذوات المستوى التعليمي المتدني.

الوسائط الرقمية اليوم، ومنصات التواصل، تمثل أحد أهم مصادر المعرفة الصحية بالنسبة للمرأة الجزائرية، سواء عبر الفيديوهات، أو المقالات القصيرة، أو البودكاست، أو حتى الصفحات الطبية على إنستغرام وفيسبوك. لكنها في الوقت ذاته تطرح مجموعة من التحديات:

1- **مصادقية المصدر:** فليست كل الصفحات أو الفيديوهات ذات مرجعية علمية. كثيرًا ما تتداول معلومات مغلوطة أو وصفات غير علمية قد تُضر بالصحة.

2- **ضعف الثقافة التقييمية:** إذ أن كثيرًا من النساء لا يمتلكن القدرة على التمييز بين المصدر العلمي والمحتوى الترفيهي أو التجاري.

3- **هيمنة المؤثرين بدل المتخصصين:** فالتثقيف الصحي الرقمي أصبح في كثير من الحالات نشاطًا تجاريًا بحثًا، يقوم به مؤثرون يفتقرون للتكوين الطبي.

4- **اللغة والمصطلحات:** حيث أن بعض المحتويات تُقدم بلغة تقنية أو بلغة أجنبية لا تُناسب كل الشرائح الاجتماعية.

5- **الفجوة الرقمية:** ما زالت العديد من النساء، خصوصًا في المناطق الريفية، لا يمتلكن إنترنت كافٍ أو هواتف ذكية تتيح لهن الولوج لهذه المواد.

ثالثًا: صحة المرأة الجزائرية والأمراض الشائعة

الواقع الصحي للمرأة الجزائرية

تعاني المرأة الجزائرية من مشاكل صحية متعددة، ناتجة عن نمط الحياة، ونقص التوعية، والضغوط الاجتماعية، والتميز في بعض المناطق. ومن أبرز مظاهر هذا الواقع:

- ضعف المتابعة الطبية الدورية.

التأخر في التشخيص.

- هيمنة بعض التصورات الثقافية التي تمنع المرأة من الحديث عن صحتها الجسدية أو النفسية.

أبرز الأمراض الشائعة بين النساء في الجزائر

أولاً: الأمراض المزمنة:

السكري.

ضغط الدم.

أمراض القلب والشرابين

ثانياً: الأمراض السرطانية:

سرطان الثدي.

سرطان عنق الرحم.

ثالثاً: الأمراض النفسية:

الاكتئاب.

القلق.

رابعاً: أمراض الصحة الإنجابية:

مشاكل الخصوبة.

خامساً: السمنة ونمط الحياة غير الصحي:

قلة الحركة.

الغذاء غير المتوازن.

تحديات المرأة في المناطق الريفية

نقص الوعي.

ضعف المرافق الصحية.

الحواجز الاجتماعية.

الحلول المقترحة

تكوين المرأة على الاستخدام الرقمي الصحي.

إطلاق منصات رسمية.

دعم طبيبات في المجال الرقمي.

خامساً: الإعلام الرقمي ودوره في التثقيف الصحي النسوي

أصبح الإعلام الرقمي فاعلاً مركزياً في تقديم المعرفة الصحية، سواء عبر الصحافة الإلكترونية، أو مواقع التواصل، أو الحملات الرقمية الصحية. وقد مكّن المرأة الجزائرية من:

الوصول إلى حملات توعية رقمية حول سرطان الثدي والتغذية والصحة النفسية.

متابعة فيديوهات تفسيرية من مختصين.

طرح الأسئلة على منصات تفاعلية.

غير أن فعالية هذا الإعلام تظل مرتبطة بمدى:

جودة المحتوى.

لغة الخطاب وقربه من الواقع المحلي.

توظيف وسائل التواصل بفعالية دون السقوط في الابتذال.

طبيعة الحياء الاجتماعي والثقافي في السياق الجزائري

يُعد الحياء في المجتمع الجزائري عاملاً ثقافياً مركزياً، خاصة فيما يتعلق بصحة المرأة. إذ يمنعها الخجل، أو العادات، من طرح أسئلة صحية صريحة، أو زيارة طبيب مختص في أمور الصحة النسائية.

.....الاستشارة الرقمية: بوابة جديدة

الاستشارة الطبية الرقمية ظهرت كبديل عملي يمنح المرأة:

خصوصية عالية.

إمكانية اختيار طبيبة.

تجاوز الخجل من المواجهة المباشرة.

سرعة الوصول للمعلومة

4.3التحديات

ضعف التكوين الرقمي.

صعوبة تقييم مصداقية المنصات.

ضعف التغطية القانونية.

سادسًا: آفاق وتوصيات لتعزيز الثقافة الصحية النسوية عبر الشاشة الرقمية

1-إعداد منصات رقمية رسمية بإشراف وزارة الصحة موجهة للمرأة.

2-دمج التربية الصحية الرقمية في المناهج الدراسية.

3-تكوين المؤثرات الرقمية في مجال التوعية الصحية.

4-توفير محتوى بالصوت والصورة واللغة المحلية.

5-التعاون بين الجمعيات النسوية والجهات الصحية لنشر ثقافة الوقاية.

6-إشراك الإعلام السمعي البصري في حملات التوعية الرقمية.

قائمة المراجع

وزارة الصحة الجزائرية. (2023). التقرير الوطني حول صحة المرأة. الجزائر: منشورات الصحة.

جلالي، سامية. (2022). الثقافة الرقمية والصحة النسائية. جامعة الجزائر 2.

Albarran, J. W. (2021). Health Information Access and Digital Literacy. Springer.

Qasem, R. (2020). Women's Health in the Arab World: Challenges and Strategies. Arab Medical Journal.

World Health Organization. (2022). Global strategy on digital health. Geneva: WHO.